

مشاركة الأسطول البحري الجزائري في الحروب العثمانية الروسية-
اليونانية (1769-1825): دراسة في بعض وثائق مصلحة حفظ
المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالحامة

Participation of the Algerian naval fleet in the Ottoman wars, the Russian-Greek (1709 AD-1825 AD): A study of some documents in the manuscript preservation department of the national library in El Hamma

Participation de la flotte navale algérienne aux guerres ottomano- Russo-grecque (1769-1825): étude de quelques documents du service de conservation des manuscrits de la Bibliothèque nationale de Hamma

د. محمد وقاد

قسم التاريخ - جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله

تاريخ الإرسال: 20-03-2021 - تاريخ القبول: 08-12-2022 - تاريخ النشر: 13-06-2023

ملخص

يشكل التعاون العسكري ما بين الايالات العثمانية حجر الزاوية للمؤسسة العسكرية ويعتبر الضامن الوحيد لاستقرار الدولة وبقائها والحفاظ على حدودها طيلة فترة الازدهار والانكسار التي عاشتها الإمبراطورية العثمانية في تاريخها الطويل، وايالة الجزائر واحدة من أبرز الولايات العثمانية التي خاضت عديد الحروب إلى جانب الخلافة العثمانية ليس من مبدأ التبعية بل من منطلق الولاء للخلافة التي وضعت على عاتقها نشر الإسلام والحفاظ على مقدساته، ولما كانت الجزائر مدركة لهذا كله لبث نداء الإغاثة وشاركت في الحروب الدائرة بين الإمبراطورية الروسية ونظيرتها العثمانية كما لبث النداء في حرب استقلال اليونان إلى غاية تحطم أسطولها البحري في معركة نافارين 1827م أمام تحالف القوى الأوروبية المساندة للثورة اليونانية آنذاك، وتبرز بعض وثائق مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية نماذج عن مشاركة الجزائر بأغلب قطع أسطولها البحري في هذه الحروب وخصصت لها حيزا لا بأس به ضمن المراسلات الرسمية الصادرة سواء من الباب العالي أو من الولاة أو من القادة والضباط إلى حكام ودايات الجزائر.

الكلمات الدالة: الحرب العثمانية الروسية؛ اليونانية؛ 1709م/1825م؛ الأسطول البحري؛ وثائق مصلحة المخطوطات.

Abstract

Military cooperation between the Ottoman regencies (Eyalat) is the cornerstone of the military establishment, to ensure the stability, survival, and the defense of the Ottoman empire throughout its history of prosperity and challenges. On the same line of thought, Algeria is considered as one of the most prominent Ottoman states due to its involvement in many wars alongside the Ottoman Caliphate. However, this affiliation was not out of Subordination, but rather out of loyalty to the caliphate, who was entrusted with the mission of spreading Islam and preserving its sanctities . On the basis of this allegiance, Algeria had responded to the relief appeal and participated in the wars between the Russian Empire and the Ottoman Empire. In addition, Algeria answered the call for the war of independence of Greece, which resulted in the destruction of its naval fleet in the Battle of Navarino in 1827 AD, in the face of the coalition of European powers supporting the Greek revolution at the time. Some documents of the manuscript preservation department in the National Library show samples of Algeria's participation in these wars, using most of its naval fleet. Notably, official correspondences issued by the Porte, governors, commanders, and officers addressed the rulers and Deyat of Algerian states, recognizing and acknowledging Algeria's contributions.

Keywords: the Ottoman Russian-Greek war; 1769 AD/1825 AD; the naval fleet; department of manuscripts preservation documents.

Résumé

La coopération militaire entre les provinces ottomanes est la pierre angulaire de l'establishment militaire Il est considéré comme le seul garant de la stabilité de l'Etat et de la préservation de ses frontières tout au long de la période de force et la faiblesse de l'Empire ottoman dans sa longue histoire, et l'Algérie en est une pas l'une des plus importantes des provinces ottomanes qui ont combattu de nombreuses guerres aux côtés du califat ottoman ne pas non seulement du principe de subordination, mais aussi du principe de fidélité au califat ottoman, qui a œuvré à répandre l'islam et la préservation de ses sainteté, et l'Algérie a répondu à l'appel aux secours et a participé dans les guerres entre l'Empire russe et son homologue ottoman, l'appel a également été répondu la guerre d'indépendance de la Grèce jusqu'à la destruction de sa flotte navale lors de la bataille de Navrin 1827 AD alliance des puissances européennes soutenant la révolution grecque à l'époque, et certains documents d'intérêt émergent les manuscrits de la bibliothèque nationale sont des exemples de la participation de l'Algérie à sa flotte navale dans ces guerres, un bon espace leur a été alloué dans la correspondance officielle émise soit de la Sublime Porte ou des gouverneurs ou des chefs et officiers aux chefs des gouverneurs d'Algérie.



Mots-clés: la guerre Russo-grecque ottomane; (1769 AD/1825 AD); la flotte; marin; documents du département des manuscrits

مقدمة

تكتسي الوثائق الأرشيفية والمخطوطات قيمة ثمينة في دراسة مرحلة السيادة العثمانية باعتبار هذه الحقبة من تاريخ الجزائر إرثا حضاريا قيما وثروة إنسانية ذات قيمة حضارية كبيرة. وقد وجدنا أثناء ترددنا على المكتبة الوطنية داخل خزائن مصلحة حفظ المخطوطات والوثائق واثق لا تعد ولا تحصى عن تاريخ الجزائر الحديث، وقد وقع اختيارنا على عينة صغيرة من هذه الوثائق التي تتحدث عن مسألة التعاون العسكري ما بين الجزائر والباب العالي أثناء الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية مع روسيا من جهة واليونان من جهة ثانية.

وأمام هذا الكم الهائل من الوثائق والمخطوطات ينتاب الباحث جملة من التساؤلات حول الفائدة الإخبارية التي تفيدنا بها هذه الوثائق والأهمية التي تكتسبها بالنسبة للجزائر في تلك الفترة وأهميتها بالنسبة للباحثين المعاصرين وما هو الجديد الذي أتت به هذه الوثائق وإلى أي مدى يمكن استغلالها ضمن المادة الأرشيفية الدسمة في الدراسات العثمانية؟ كل هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها في هذه الدراسة المتواضعة من خلال إتباعنا الأسلوب التحليلي النقدي.

1. حوصلة نقدية للبحوث والدراسات المنجزة حول الموضوع

حضي موضوع البحرية أو الأسطول البحري الجزائري باهتمام كبير سواء من طرف المستشرقين الفرنسيين زمن الحقبة الاستعمارية أو من طرف ما يعرف بالمدرسة التاريخية الوطنية للجزائر الحديثة بجيلها: الأول بقيادة رواد أمثال عبد الرحمن الجيلالي ومبارك الميلي وتوفيق المدني وغيرهم وجيلها الثاني بقيادة رواد أمثال سعيدوني ناصر الدين وبلحميسي مولاي وغطاس عائشة... وغيرهم.

1.1 اهتمامات رواد المدرسة التاريخية الوطنية بشكل عام

لقد اقتصر دور الجيل الأول من المدرسة التاريخية الوطنية على إثبات وجود وانتماء الجزائر الحضاري والجغرافي في فضاء الحضارة العربية الإسلامية والعمل على تنفيذ نظرية انتماء الجزائر للحضارة الأوروبية كما روج لذلك الاستعمار الفرنسي، وقد ركز هؤلاء المؤرخين على إثبات هوية الجزائر العربية الإسلامية التي حاول طمسها المستعمر



عن طريق سياسة الفرنسة والتنصير وحاولوا تصوير ارتباط الجزائر بالصفة الأخرى (الشرق) عبر سيطرتها وتحكمها في حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة زمنية طويلة أعقبت الفتح الإسلامي واستمرت إلى غاية الارتباط الإرادي والطوعي بالخلافة العثمانية. أما رواد الجيل الثاني فلم يحاولوا الخوض في مسألة الهوية والانتماء واقتصر دورهم على تبين مواطن القوة والضعف للجزائر في ظل الحكم العثماني خاصة ومدى تأثير ذلك على الأوضاع الداخلية والخارجية وأيضا دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية ومدى تأثيرها على الأوضاع السياسية في الداخل والخارج وحاولوا أن يربطوا مواطن قوة الدولة بقوة ونشاط أسطولها البحري المزدوج الوظيفة (وظيفة اقتصادية وعسكرية) في الوقت ذاته.

2.1 اهتمامات رواد المدرسة التاريخية الوطنية حول الاسطول البحري الجزائري

في العهد العثماني

تعتبر أعمال مولاي بلحميسي مصدرا مهما للدراسات العسكرية الخاصة بالجزائر في العهد العثماني باعتباره المتخصص في تاريخ الجزائر البحري وما يتصل به من مواضيع متنوعة كالحروب البحرية وبناء السفن والأساطيل وقضايا الأسرى ومدن المواجهة والحصون والعلاقات السياسية والتجارية والجوسسة وقد أثرى مكتبة التاريخ العثماني للجزائر من خلال عديد الأبحاث والدراسات والمؤلفات نذكر منها كتابه الموسوم: *Histoire de La Marne Algérienne (1516-1830)* ومؤلفه المعنون *Marine et Marins* إضافة *d'Alger (1518-1830)* وكتابته الموسوم *Les captifs algériens et l'Europe chrétienne* الى كتابه *Alger la ville à mille canons* وإصداره الخامس بعنوان *Alger , l'Europe et la guerre secrète (1518-1830)*....

أما دراسات وأبحاث الأستاذ الدكتور سعيدوني ناصر الدين فهي دليل قاطع على الاعتراف به رائد الدراسات العثمانية والأندلسية بالجزائر ومن بين مؤلفاته كتابه المعنون: *ورقات جزائرية*، ومؤلفه الموسوم النظام المالي للجزائر وكتابته المعنون: *الجزائر في التاريخ...* الى جانب هذين الباحثين نذكر الدكتورة المرحومة غ طاس عائشة التي ساهمت بقدر كبير في الجوانب العسكرية للجزائر وموضوع المؤسسة العسكرية البرية والبحرية للجزائرية موازاة مع اشتغالها بدراسة المجال الاجتماعي ضمن عملها الضخم



المعنون بالحرف والحرفيون بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني. كما نذكر الدكتور جمال قنان ومن أهم مؤلفاته كتابه حول معاهدات الجزائر مع فرنسا.

شكلت دراسة موضوع البحرية الجزائرية في فترة العهد العثماني انشغالا للكتابات الفرنسية ومن بينها أعمال دوفولكس البير Devoulx Albert المنشورة في المجلة الإفريقية تحت عنوان: "Tachrifat: recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger" وأعد دوفول بحثا قيما حول البحرية عنونه بـ La marine d'Alger...

أما دوسان دو مورادجديا (De Mouradgea D'hossan) فقد أعد بحثين هامين حول نشاط البحرية الجزائرية ودورها في الحياة الاقتصادية، الأول بعنوان Correspondance consulaire commerciale والثاني بعنوان Tableau général de l'empire Othoman وازضافة الى هذه المؤلفات نذكر كتاب ويليم سبنسر الموسوم Algiers in the age of the corsairs.

وحول نفس الموضوع خصّصت "مؤسسة التميمي" حيزا معتبرا لدراسة المرحلة العثمانية حيث نشرت العديد من البحوث للموضوع من خلال البحوث المنجزة اعتمادا على تحليل وثائق أرشيفية، ومن بينها البحث الذي أعده عبد الجليل التميمي الموسوم بموجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر وخصص فيه نصيبا هاما لتناول موضوع البحرية الجزائرية تحت الحكم العثماني.

ورغم مجهودات الباحثين والمؤرخين لدراسة موضوع البحرية الجزائرية في العهد العثماني ما يزال هذا الجانب مجالا خصبا لأنّ هناك كم جد معتبر من الوثائق العربية والعثمانية التي لم تتم دراستها، وهي تعدّ بالآلاف وأغلبها موجود في تركيا وفرنسا وبعض دول أوروبا على غرار سويسرا، وكل هذه الوثائق تحتاج إلى جيش كامل من المؤرخين والباحثين من أجل نفص الغبار عنها وكشف خباياها وحقائقها.



2. عرض النتائج

1.2 تقديم الوثائق الأرشيفية المدروسة

الدراسة أجريت على عينة صغيرة من الوثائق المحفوظة بمصلحة حفظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – ولنقل أنها قطرة من بحر- بحيث اقتصرنا على الملف الأول ضمن المجموعة 3204 وهي مرقمة من 2 إلى 20، والفترة الزمنية التي تغطيها هذه الوثائق تمتد من سنة (1183هـ _ 1241هـ) الموافق لـ (1769م _ 1825م) وهذه الفترة الطويلة من تاريخ الجزائر أواخر التواجد العثماني مليئة بالأحداث الداخلية والخارجية. وقد تميزت هذه الفترة التي نتحدث عنها هذه الوثائق بالاضطرابات الداخلية من تمردات وانتفاضات وكوارث طبيعية: الجراد، الزلازل، المجاعات، الأوبئة والأمراض الفتاكة (القساوي، 2010)، كما تعاقب على حكم الجزائر خلال هذه الفترة تسع دايات بدءاً بالداي محمد عثمان باشا ثم حسان باشا ثم مصطفى باشا فأحمد باشا ليليه علي باشا الغسال ثم الحاج علي باشا الذي خلفه في الحكم محمد باشا فالداي علي خوجة باشا وصولاً بحسين باشا آخر دايات الجزائر الذي استمر حكمه إلى عشية الاحتلال الفرنسي للبلاد (السلیماني، 1994). وأما على الصعيد الخارجي فقد تعاقب على حكم العرش العثماني خلال هذه الفترة خمس 5 سلاطين وهم: مصطفى الثالث وعبد الحميد الأول وسليم الثالث ومصطفى الرابع ومحمد الثاني.

هذا عن الإطار الزمني للدراسة أما عن طبيعة وفحوى هذه الوثائق فهي عبارة عن فرمانات أو ما يعرف بالأوامر السلطانية الصادرة وهي نافذة لا جعة فيها (دائرة المعارف الإسلامية، 1965) ومراسلات وأغلبها موجهة إلى دايات الجزائر من اسطنبول العاصمة أو من المدن والولايات العثمانية أو من ساحات المعارك التي كانت تدور بين الجيوش العثمانية والجيوش الروسية واليونانية وهذا في إطار المراسلات الرسمية التي كانت شائعة في تلك الفترة.

2.2 قراءة في فحوى الوثائق

من مجموع عشرين 20 وثيقة ثلاث عشرة 13 منها نتحدث عن الحروب العثمانية اليونانية وسبعة 7 وثائق الباقية نتحدث عن الحروب العثمانية الروسية، لهذا ارتأينا قبل التفصيل والغوص في محتوى هذه الوثائق أن نعرج قليلاً على هذه الحروب، ونذكر



أن الحروب ما بين الخلافة العثمانية والإمبراطورية الروسية واحدة من أطول النزاعات في تاريخ أوروبا وذلك لامتدادها على فترة طويلة قدرت بـ 241 سنة متجاوزة بذلك حرب المائة 100 سنة بين فرنسا وإنجلترا (بن حزام الرومي، 1996). وقد عدد الحروب التي دارت بين الخلافة العثمانية والإمبراطورية الروسية 16 ستة عشر حرباً (وكيبيديا العربية) وكان من أسبابها المباشرة محاولة السيطرة على القرم، البحر الأسود أو منطقة البلقان.

ويُرجع المؤرخون سبب إنهيار الدولة العثمانية إلى تلك الحروب التي أنهكتها وأضعفت قوتها العسكرية وهذا ما جعل الفرصة سانحة لليونان للتحرك جاهدة للاستقلال عن التفوذ العثماني، حيث اغتنمت الوهن الذي أصاب الخلافة العثمانية لتأسيس خلايا نائمة تعمل في السّر من خلال نشاطات "أخوية الصداقة" *Φιλική Εταιρεία* وتلفظ "فيليكّي إيتيريا" باليونانية وهي منظّمة وطنية سرية تأسست في أوكرانيا سنة 1814م، ثم أخذت الكنيسة الأرثوذكسية على عاتقها العمل على تعزيز روح القومية اليونانية الهيلينية في نفوس أتباعها (بن حزام الرومي، 1996).

وبعد المرحلة السرية خرجت الثورة للعلن واندلعت شرارتها في مارس 1821م حيث تمّ رفع علم الاستقلال اليوناني لأول مرة على دير لافرا تحت شعار "الحرية أو الموت"، ثم اتسعت رقعة الثورة وشملت أغلب أنحاء اليونان في غضون عام واحد، إلا أن الخلافات التي دبّت بين الثوار حالت دون بسط نفوذهم على باقي الأراضي اليونانية.

استمرت الحرب بين العثمانيين واليونانيين طيلة الفترة الممتدة ما بين (1821م-1824م) لكن دخول القوات المصرية كطرف ثالث سنة 1825م غيّر موازين القوى وهذا بعد أن طلب السلطان محمود الثاني المساعدة من محمد علي باشا والي مصر على اعتباره أقوى ولائه آنذاك، فلبى النداء حيث أرسل أسطوله البحري بقيادة ابنه إبراهيم باشا.

ولابد من الإشارة إلى أن المصادر التاريخية قد تحدثت بإسهاب على دخول الجانب المصري في هذه الحرب لتعزيز كفة العثمانيين ولم تُشر البتة إلى مشاركة الأسطول الجزائري، التي ذكرتها الوثائق التي درسناها حيث بينت أن القوات البحرية الجزائرية كانت السبّاقة للمشاركة في هذه الحرب وفيها عرض حال عنها وتحمل الكثير من أخبار النصر والهزيمة أمام الثوار اليونانيين الذين استفادوا من التدخل الدولي الثورة اليونانية حيث أرسلت كل من انجليز وفرنسا وروسيا أساطيل حربية قرب السواحل



اليونانية واستطاعوا تدمير الأسطول العثماني في نافرين في أكتوبر 1827م وقامت على اثر هذه الهزيمة في صفوف الدولة العثمانية مملكة اليونان المستقلة في جويلية 1832م. تطلعنا الوثيقة الأولى على حاجة الأسطول العثماني للدعم والإسناد من الايالات العثمانية ومنها ايالة الجزائر، هذه الوثيقة في الأصل رسالة من الحاج عثمان وكيل الجزائر في إحدى حواضر الباب العالي موجّهة إلى محمد بن عثمان باشا داي الجزائر بتاريخ 27 محرم 1203هـ الموافق 29 أكتوبر 1788م وفيها يطلب هذا الوكيل من الداى المذكور إرسال مبعوث جزائري على الفور إلى اسطنبول لاستلام أمر بمهمة مساندة الأسطول العثماني الذي كان يخوض حربا ضد الإمبراطورية الروسية، وذكرت الوثيقة عدد أفراد الجيشين العثماني والروسي وعدد السفن وأسماء قادتها ومعلومات أخرى عن الأسلحة والذخائر (الوثيقة 2، 1788).

وللعلم فإن عملية تجهيز وتحضير الأسطول للمهام الحربية خاصة خارج الحدود تستغرق وقتا ولهذا تلقى الداى محمد بن عثمان باشا فرمانا من أمير البحر حسين باشا قبودان يحثه على التعجيل بإرسال بعض القطع من الأسطول الجزائري إلى البحر المتوسط وأن ينفذ ما جاء في الاتفاق الذي تحدثت عنه الوثيقة السابقة، وبحسب الوثيقة الثانية المؤرخة في يوم الثلاثاء 17 شعبان 1203هـ الموافق 24 ماي 1789م (الوثيقة 3، 1789) فإن الأسطول العثماني أصبح في حالة حرجة أمام تشديد الخناق من طرف الجيش الروسي المتحالف مع الجيش النمساوي الذي عزّز قوته بإرسال 115 سفينة حربية و10 آلاف جندي، في حين لم يتعدى الجيش العثماني 8 آلاف جندي (المحامي، 1981).

وفي الوقت الذي كان فيه الأسطول الجزائري يعمل على تعزيز الأسطول العثماني في حربه ضد الروس كانت قطع أخرى من الأسطول تمارس الجهاد البحري وتغنم من أساطيل الأعداء. وفي هذا الاطار وقع في قبضة رياس البحر سفينة روسية قادمة من ميناء طولون الفرنسي حاملة على متنها رعايا فرنسيين وروس، وهذه الغنيمة ثمينة وتزداد قيمتها خاصة في فترات الحروب والاضطرابات باعتبارها رهينة حرب والمساومة عليها قيمة، فقد ورد في وثيقة مؤرخة في أواخر محرم 1215هـ الموافق لشهر جوان 1801م حيثيات عملية السطو على هذه السفينة واقتيادها إلى أحد الموانئ الجزائرية كما ورد في ذات الوثيقة أمر السلطان سليم الثالث من الداى مصطفى باشا إعادة السفينة الروسية بعد



الإمضاء على اتفاقٍ عثماني - روسي (الوثيقة، 4، 1801)، وعقد هدنة بين الطرفين والعودة إلى تطبيق بنود اتفاقية باش قصبه المبرمة بين السلطان العثماني سليم الثالث ونظير الروسي سنة 1797م حيث تتحمل فيها الدولة العثمانية مسؤولية حماية الرعايا الروس من اعتداءات ايلات كل من طرابلس تونس والجزائر.

تسرد وثيقة أخرى صادرة في أواخر رجب 1222هـ الموافق لـ لأواخر أوت 1807م وبنوع من الدقة أخبار عسكريّة وسياسية واجتماعية ومن بينها تنصيب مصطفى الرابع سلطانا جديدا خلفا للسلطان سليم الثالث سنة 1807م (الوثيقة، 5، 1807)، كما أوردت الرسالة ذاتها مستجدات وتطورات الحرب الروسية - العثمانية وجاء فيها عرض حال مفصّل حول الأسطول الجزائري المشارك في الحرب، وفيها أيضا أخبار عن تمردات الجيش العثماني وتمردات رعايا الافلاق والبعغان وهما منطقتان في الجنوب الشرقي لتركيا كانتا تحت السيادة العثمانية منذ القرن السادس عشر ق16م ظهر حولهما نزاع بين الدولة العثمانية وروسيا مما زاد في التوتر بين والإمبراطوريتين .

وحول المشاركة الطويلة للأسطول الجزائري في الحرب الروسية - العثمانية وما تتطلبه من توفير شروط الراحة والنقاهاة للأفراد والمستخدمين العسكريين، تذكر إحدى الوثائق وضع مرافق مدينة أزمير التركية تحت تصرف أفراد الأسطول الجزائري وهي متكوّنة من غرف سفلية وأخرى علوية ومخازن وبها مصلّى وغرف لإقامة ضباط الأسطول وقادة سفنه. كما تطلعنا نفس الوثيقة المؤرخة في يوم الثلاثاء 9 جمادى الأولى 1222هـ الموافق لـ يوم 2 أوت 1808م على تسلّم وكيل الجزائر في أزمير وهو سر الدين كاتب زادة مبلغ مالي من الرايس حميدو (الوثيقة 6، 1808) لدى وصوله إلى مدينة أزمير وهذا إشارة إلى تقديم إيالة الجزائر الدعم المالي إلى جانب الدعم العسكري للباب العالي.

وموازة مع المشاركة في الحرب التركية الروسية واصل الأسطول الجزائري عمليات الجهاد البحري في عرض المتوسط حيث غنم سفينتين روسيتين حسبما إفادتنا به وثيقة مؤرخة في أوائل شهر صفر سنة 1231هـ/ جانفي 1808م، تضمنت أمرا سلطانيا صادرا من محمود الثاني إلى الداي علي باشا بالإفراج عن السفينتين الروسييتين بعد الوصول لاتفاق بين السلطان محمود الثاني والسفير الروسي بإسطنبول وهو أندريه أتيا لوسكي (الوثيقة، 7، 1808).



ويتبين من خلال ما سبق أن أدرك رياس البحر قد أدركوا أهمية الجهاد البحري في عرض المتوسط في قلب موازين القوى لأن وقوع السفن الروسية في قبضتهم يعني مساومة روسيا مقابل إطلاق سراح سفنها كما كان الشأن عند اقتادهم سفينة روسية أخرى سنة 1815م وتم الإفراج عنها بعد الحصول على تنازلات من الطرف الروسي بحسب وثيقة صادرة يوم الخميس 3 شوال 1236هـ / 6 جوان 1816م .

وبالرغم من أن هذه المراسلات لا تحمل لنا الكثير عن أسباب قيام الحرب اليونانية إلا أنها تسوق لنا تاريخ اشتعالها بدقة في بداية سنة 1815م، وبعد امتداد هذه الحرب واتساع رقعتها طالبت الدولة العثمانية من إيالة الجزائر الدعم والإسناد بحسب أمر سلطاني صادر إلى داي الجزائر بتاريخ 1237هـ / 1822م من أجل التعجيل بإرسال قسم من الأسطول البحري الجزائري إلى المياه الشرقية لمساندة الأسطول العثماني الذي كان يواجه التمرد والثورة اليونانية ويرجح بأنها ترجمة لوثيقة أصلية مكتوبة باللغة وبالخط العثماني لأنها جاءت خالية من الختم والتوقيع (الوثيقة 9، 1822).

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن مشاركة الأسطول البحري الجزائري في الحرب العثمانية – اليونانية امتدت كذلك إلى دعم الأسطول المصري في تعزيزه للأسطول العثماني على غرار باقي أساطيل الإيالات العثمانية، فحسب ما أطلعنا عليه رسالة مؤرخة في يوم الجمعة 13 رجب 1238هـ / 25 أفريل 1823م (الوثيقة 10، 1823)، طلب محمد علي باشا والي مصر من الداي حسين إرسال سفينتين جزائريتين لمرافقة سفينة تجارية مصرية قادمة من لندن متجهة إلى ميناء الإسكندرية. وقد وافق الداي حسين على الطلب حيث رافقت سفينتان جزائريتان السفينة التجارية المصرية إلى غاية بلوغها ميناء الإسكندرية، ثم أبحرتا باتجاه بحر ايجة شمال اليونان لمؤازرة الأسطول العثماني حسب ما جاء في وثيقة أخرى صادرة عن الحاج احمد وكيل الجزائر بمصر إلى الداي حسين مؤرخة في يوم الأحد 17 رجب 1238هـ / 2 أفريل 1823م (الوثيقة 11، 1823).

ولم تتوقف مشاركة الأسطول الجزائري على الجانب العسكري والتكتيكي في الحرب اليونانية بل امتدت إلى تقديم أنواع أخرى من الدعم مثل قيام فرقة من اليولداش الجزائريين – وكلمة اليلداش بالتركية تعني رفيق الطريق وهم الجنود أو في مرتبة الجيش (نور الدين، د.د)، ص 35-45) بترميم المباني في العاصمة اسطنبول بعد لحاق الدمار بمبانيها



وبالبناء والتعمير وتحصين الأسوار وفق ما جاء في وثيقة أخرى صادرة عن القبطان علي سر عسكر السفن الجزائرية إلى الداى حسين باشا بتاريخ يوم الأربعاء 27 رجب 1238هـ الموافق لـ 13 أفريل 1823م وقد حملت الوثيقة أيضا عرض حال شامل عن الأسطول البحري الجزائري (الوثيقة 1823، 13).

كما شملت هذه المشاركة تقديم المساعدات العدائية والمؤن وهذا ما حدث فعلا بعد ظهور المجاعة في اوساط سكان قلعتي متون وقرون وهما قلعتان عثمانيتان تقعان في جزيرة مورة على بعد 80 كيلومتر من العاصمة العثمانية اسطنبول جزاء الحصار اليوناني فسارع محافظ القلعتين وهو حسن مرمار إلى إرسال طلب إلى الداى حسين يطلب فيه تقديم المئونة والمساعدات الغذائية وقد قدمت ايالة تونس للقلعتين السالفتي الذكر سفينة محملة بالزيت والقمح حسب ما جاء في ذات الوثيقة المؤرخة في 13 رمضان 1238هـ/ 24 جوان 1823م (الوثيقة 1823، 13).

شملت هذه المشاركة أيضا وأمام نقل المعلومات حول تطرو الحرب خاصة بعد تدخل أطراف دولية في الحرب وهي انجلترا وفرنسا وروسيا وتحالف أوروبي غربي (اسباني-برتغالي) لكسر الصمود الذي أظهره الجيش العثماني في التصدي للثورة اليونانية، وكل هذه الأحداث جاءت مفصلة في وثيقة مؤرخة في يوم الأربعاء 11 محرم 1239هـ/ سبتمبر 1824م (الوثيقة 1824، 14) صادرة عن وكيل الجزائر في جبل طارق واسمه هارون كرتوز موجهة إلى الداى حسين لتحذيره من جاسوس موجود في وهران اسمه أجوني يعمل لصالح التحالف (الاسباني-البرتغالي).

وشمل هذا التبادل للمعلومات اخبارا حول مجريات الحرب (غنائم، رهائن، قتلى، جرحى...) طيلة الفترة التي أعقبت سنة 1825م بعد دخول أطراف أوروبية ساحة الحرب بطريقة مباشرة لمساعدة الجيش اليوناني وإنقاذ الثورة اليونانية (الوثيقة 1825، 15)، وهذا ما سمح بالتحضير الجيد لتدخل الاسطول الجزائري. فحسب ما جاء في إحدى الوثائق انتقلت وحدات من هذا اسطول إلى جزيرة مورة وقد وتمركزت في الجهة الخلفية للجيش العثماني لحماية ظهره تنفيذًا للأمر الذي أصدره السلطان محمود الثاني إلى القبطان مصطفى قبودان قائد السفن الجزائرية بتاريخ أوائل شوال 1240هـ/ أواخر ماي 1825م وقد ساعد ذلك على محاصرة الجيش اليوناني برا وبحرا (الوثيقة 1825، 16) وخاصة بعد



تطويق قلعة أورارين حيث كان يتحصن الثوار اليونانيون على حسب ما جاء في الرسالة الموقعة من عبد الله جاووش سر عسكر ومصطفى قبودان قائد السفن الجزائرية إلى الدّاي حسين يوم السبت 27 شوال 1240هـ / 14 جوان 1825م. (الوثيقة 17.1825)

وإلى جانب أخبار الانتصارات وردت إلى الدّاي حسين أخبار الهزيمة، فقد أورد وكيل الجزائر علي للدّاي خبر احتراق سفينة جزائرية من نوع "قريبط" - وهي نوع من أنواع السفن أكبر من الفرقاطة وهي مخصصة لحمل الأشخاص والجنود-، على ساحل جزيرة مورة وجاء ذلك في رسالة مؤرّخة في نهاية شوال 1240هـ / أواسط جوان سنة 1825م (الوثيقة رقم 18.1825).

وتُظهر لنا وثيقة أخرى مؤرّخة في شهر ذي القعدة 1240هـ / جويلية 1825م المهام الفرعية التي كلف بها الجيش الجزائري في الحرب اليونانية والمتمثلة في إمداد الجيوش العثمانية بالمياه العذبة وفي ذات الوثيقة أخبار عن فقدان اليونان لقلعة أورارين (الوثيقة 19.1825).

وتبين وثيقة أخرى فك الرّباط بين الأسطول الجزائري والأسطول العثماني وانفصاله عنه نتيجة تحطّم أغلب قطعه جزاء طول مدة الحرب، وتبين الوثيقة صادرة عن محمد خسرف باشا قبودان داريا موجهة إلى الدّاي حسين بتاريخ شهر صفر 1241هـ / أوت 1826م يطلب من الدّاي الموافقة على العودة للجزائر ويلتمس منه العفو) الوثيقة 20.1826، وقد جاء هذا قبل مدة قصيرة عن اندلاع معركة نافيرين الشهيرة حيث تحطّم ما بقي من الأسطول البحري الجزائري.

3. مناقشة النتائج

1.3 النتائج من خلال الدراسات السابقة

من خلال الدراسات السابقة حول البحرية الجزائرية تبين أن دور وحدات هذه البحرية شمل الحركة التجارية في مرحلة معينة من تاريخ الجزائر وكان قويا في المجال العسكري وخاصة فيما تعلق بالجهاد البحري والقرصنة كما يسميها المؤرخون الغربيون. وركزت هذه الدراسات على القائمين بشؤون البحرية (الضباط والجنود والبحارة...) وعلى العتاد المادي الذي يشتمل عليه الأسطول البحري (حجم الأسطول ونوع السفن، مواد البناء...) وعلى العتاد الحربي الذي يضمه الأسطول البحري (الأسلحة والذخيرة...).



2.3 نتائج دراسة الارشيف

أما معالجتنا للموضوع اعتمادا على الوثائق فقد بينت لنا ما يلي:

- إن حاجة المؤسسة العسكرية العثمانية لمزيد من قطع أساطيل الايالات التابعة لها يجعلنا نستنتج مدى الضعف الذي آلت إليه الدولة العثمانية أواخر القرن الثامن عشر ميلادي (ق18م).
- الاستنجد المتكرر بالأسطول الجزائري سواء من الباب العالي أو الايالات المجاورة على غرار مصر دليل قاطع على القوة التي كان يتمتع بها الأسطول الجزائري في تلك الفترة من الزمن.
- الأسطول الجزائري كان السباق في المشاركة في حروب الدولة العثمانية قبل دخول ايالات مصر وطرابلس وتونس فيما بعد.
- رغم نشوب الحرب بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية أبقى العثمانيون على السفراء الروس ولم يتوقف التمثيل الدبلوماسي بينهما.
- نشاط الجهاد البحري في عرض البحر المتوسط لم يضعف ولم يتوقف واستمر إلى بدايات القرن التاسع عشر ميلادي (ق19م) والدليل على ذلك هو مساومة روسيا مقابل الإفراج عن سفنها الواقعة كرهائن لدى "رياس البحر" الجزائريين والوساطة في استعادة السفن كانت تتم بين السلطان العثماني شخصا وممثل الدولة صاحبة السفينة الرهينة وداي الجزائر.
- مشاركة جيوش كل الايالات العثمانية في حروبها بدون استثناء يبيّن مدى الولاء والطاعة للباب العالي وعدم الاستقلالية عنه بالرغم من الضعف الذي آلت إليه الدولة العثمانية في تلك الفترة.
- الجيش العثماني إلى جانب الحروب كان يُوظف في البناء والتعمير والترميم وصيانة المنشآت المدنية التي لحقها التخريب جراء الحروب أو تمردات الأهالي أو جزاء الاعتداءات الخارجية.

خاتمة

رغم أن الأسطول الجزائري كان ذو نظام تقليدي مقارنة بأساطيل الدول الغربية إلا أنه استطاع أن يدافع عن السواحل الجزائرية ولعب دورا هاما وفعالا في الحروب الخارجية



التي خاضتها الدولة العثمانية ضدّ الدول الأوروبية المتكالبة عليها من أجل السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط وإعادة الأجداد الضائعة ومحاولة إعادة التموقع من جديد، ولولا أهمية الأسطول البحري الجزائري وجاهزيته لما كانت تأتيه الاستدعاء من اسطنبول للمشاركة في الحروب العثمانية بل تعدى ذلك لاستعانة "اسطنبول" بأحسن البحارة الجزائريين أمثال على باشا و طاهر باشا وغيرهما، وقد لمسنا أيضا دعم الجزائر لاسطنبول ماليا وعسكريا ففي كثير من الأحيان ما تكون السفن الجزائرية محملة بالأموال إلى جانب الأسلحة والمحاربيين وعلى الرغم من وجود فترات قوة ميزت البحرية الجزائرية والتي جعلتها تعيش أزهى فتراتها إلا أن هناك فترات ضعف سببها الأخطاء المتكررة وحالات الإهمال والتقاعدس وخاصة في الفترة الأخيرة من حكم سلاطين الجزائر العثمانية حيث عجلت بانهيار الأسطول وضمحلل قوته وبالتالي انهيار الدولة الجزائرية ككل، وعلى كل فان ما توصلنا إليه من استنتاجات ليست أحكاما نهائية لأن دراسة الجانب العسكري للجزائر ستعرف تطورا بفضل ظهور وثائق جديدة وتبقى هذه الدراسة المتواضعة جهد بسيط يضاف إلى ما سبقه من أبحاث ومحفز لأبحاث مستقبلية تخص السياق ذاته.

قائمة المصادر والمراجع

- الوثائق الأرشيفية

1. الوثيقة رقم 2، الملف الأول، المجموعة 1204.
2. الوثيقة رقم 3، الملف الأول، المجموعة 1204.
3. الوثيقة رقم 4، الملف الأول، المجموعة 1204.
4. الوثيقة رقم 5، الملف الأول، المجموعة 1204.
5. الوثيقة رقم 6، الملف الأول، المجموعة 1204.
6. الوثيقة رقم 7، الملف الأول، المجموعة 1204.
7. الوثيقة رقم 8، الملف الأول، المجموعة 1204.
8. الوثيقة رقم 9، الملف الأول، المجموعة 1204.
9. الوثيقة رقم 10، الملف الأول، المجموعة 1204.
10. الوثيقة رقم 11، الملف الأول، المجموعة 1204.
11. الوثيقة رقم 12، الملف الأول، المجموعة 1204.
12. الوثيقة رقم 13، الملف الأول، المجموعة 1204.
13. الوثيقة رقم 14، الملف الأول، المجموعة 1204.



14. الوثيقة رقم 15، الملف الأول، المجموعة 1204.
15. الوثيقة رقم 16، الملف الأول، المجموعة 1204.
16. الوثيقة رقم 17، الملف الأول، المجموعة 1204.
17. الوثيقة رقم 18، الملف الأول، المجموعة 1204.
18. الوثيقة رقم 19، الملف الأول، المجموعة 1204.
19. الوثيقة رقم 20، الملف الأول، المجموعة 1204.

- المصادر باللغة العربية

1. الزهار أحمد الشريف 1980. مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1754م-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- المراجع

1. السليماني أحمد، 1994. النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر.
2. الرومي عايض بن حزام، 1996. حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي والعثماني، منشورات وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، الرياض.
3. القشاعي موساوي فلة، 2010. الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال التركي (1518-1871)، منشورات بن سناي، الجزائر.
4. المحامي محمد فريد بك، 1988. تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق الدكتور إحسان حنفي، ط1، دار النفائس، بيروت.
5. بركات مصطفى، 2001. الألقاب والوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب والوظائف (1517م/1924م)، غريب للنشر والتوزيع.
6. سبنسر وليم، (د.ت). الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة وتقديم وتعليق عبد القادر زيادة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
7. عبد القادر نور الدين، (د.ت). صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة.
8. دائرة المعارف الإسلامية، 1965. طبعة بيروت.
9. Bey Sany, 1895. *Dictionnaire Turc –Français*, Imprimeur Mihran, Istanbul.

